الأرغفة ... وأنت

وأخذ يسوع الأرغفة

(يوحنا ٦: ١١)

ألقاها : الأستاذ (جاى كنج) في مجمع كيزيك

ان مجمعنا فى دورته الحالية كان معنيا بما يمكننى أن أسميه) درجات في ملء البركة ». واليوم نأتى الى الخطوة الأخيرة : التسليم الكامل . ولذا فانى مزمع أن أطلب اليكم أن تراجعوا من جديد القصة المعروفة التي اقتبست الآية منها ، لأنها تبين لنا مرة أخرى الامكانيات الهائلة المنبسطة أمامنا عندما نسلم حياتنا تسليماً حقيقيا ولو كانت هذه الحياة ، من وجوه أخرى ، عادية جدا بل لا أهمية ولا ذكرى لها بتاتا . فانظروا أولا ما هو متضمن في هذه الأرغفة

(1) رمز المشاركة :

حينما نرجع الى مكان هذه القصة - وهو البرية القاحلة - تنكشف لنا الحاجة الماسة اليها . هناك جمع كبير ، أخذ الجوع منه كل مأخذ ، بل هو فى مسيس الحاجة الى الخبز ، وما هذا المشهد الا صورة للناس الذين حولنا جياع الى خبز الحياة . ها هم يملأون العالم الطويل العريض ، بل فى موطننا ، وشارعنا ، والمنزل المجاور لنا ، أولئك الذين عضهم الجوع بنابه ، وسخرت بهم أباطيل الآمال الكاذبة ، وغدرت بهم الخيبة القاسية . قد يغطى الخجل وجوههم فلا يعترفون بنأمة قلوبهم، ولكن وراء هذا الحجاب الرقيق من التجلد واصطناع خلو البال ، والتظاهر بالسلوك الطيب ، هنالك في قرارة النفس ، وفى الطيات الدفينة فى القلب ، فراغ وخلاء ، وجوع وعطش ، لشيء ما تحس به

النفس أفضل من كل ما اختبرت الحياة، شيء آخر ليس فى موائد الملذات المترعة بكل طريف جديد ، شيء آخر ليس فى الثروة بكل ما تعنيه ، شيء آخر ليس فى النجاح ولا فى الصيت والشهرة - هو الخبز - خبز الحياة».

نعم ، ها هم هناك. هل يهتم السيد بحاجتهم ؟ نظرة إلى قصتنا تعطينا الجواب الصحيح . يا له من حب دافق ! البشير متى يخبرنا في روايته أنه « تحنن »، وهو هو كذلك اليوم ، جمهور الجائعين يهز شغاف قلبه . نحن يمكننا - ويا للأسف ! الله يسامحنا ــ أن نفكر في الجمع المحتاج دون أن نقدم أية معونة ، ولكن ما أعظم الفرق ! يسوع يتحنن على القطيع المسكين ، ومحبته دائما يلازمها تدبير للمعونة والإغاثة ، « لأنه علم ما هو مزمع أن يعمل ».

وهو لا يشاء ، مع أنه يقدر ، أن يعمل مباشرة ، بل يبحث عن معاونة . ويا له من امتياز : القصة ترينا ان التلاميذ دعوا ليساعدوا الغلام صاحب الأرغفة - التى هى صورة لحياة كل منا . إنه لمدعاة للعجب حقا فمع انه قادر أن يعمل عمله حسنا بدوننا، يدعونا لمعاونته عاملون معا، وهذا هو بيت القصيد والغرض الرئيسي من خلاصنا ليس لننجو بأنفسنا فقط ، بل لنجول مفتشين باحثين عن الآخرين . بل هذا هو الدافع الأساسي في طلبنا بركة الله فى عبادتنا العادية ، او في الأوقات الخصوصية الانتعاشية مثل هذا المجمع . ليس لاختبارنا الشخصي، أو للفرح ، بل لنتدرب أكثر للسعي وراء الآخرين . وان خلاصا وتقديسا لا يتولى عليهما هذا الواجب لهما خذلان مبين وعدم ادراك لذات غرض الله فينا.

ربى اشدد يدى حتى وأنا واقف على الصخر مستمداً منك عزمى وثباتى ، يمكنني أن أمد أيضا يدا لمن تلاطمهم أمواج بحر الحياة . ويا له من شرف مجيد ! ان يقدم الدعوة لنشارك مشوراته الخلاصية . هل تتذكرون كلامه لموسي ؟ نزلت لانقذهم .. والآن هلم فأرسلك الى فرعون وتخرج شعبي . .») خر ٣:٨ و ١٠) . وتاريخ أرغفتنا يقص هذه القصة عينها : انه هو يطعم الجمع ، ونحن نعاونه . نعم ! ولكن هذه الأرغفة هي ايضا :

(2) صورة الله لعجزنا وعدم كفايتنا :

هل تشعر بإحجام عن الاضطلاع بمهمتك لشعورك بالعجز ؟ حسنا، وهكذا كان موسي : (من أنا حتى ترسلني ؟»، وهكذا كان جدعون : « بماذا أخلص اسرائيل ؟ وهكذا كان اشعياء : « ويل لي انى هلكت » ، وهكذا كان ارميا : « آه يا سيد الرب أنى لا أعرف أن أتكلم لأنى ولد » . وهكذا نجد أن كل من قاموا بجلائل الأعمال لله ابتدأوا بإحساس عميق فى قرارة نفوسهم بضآلة وحقارة قوتهم ، الأمر الذي يربكك انت . الا تلاحظ أنه غالبا يختار مساعديه ممن لا كفاية لهم في أنفسهم ، وهذا ما يقوله بولس :

«اختار الله جهال العالم ليخزى الحكماء . واختار الله ضعفاء العالم ليخزى الأقوياء. واختار الله أدنياء العالم ألمزدري وغير الموجود ليبطل الموجود ». وحينما يريد الله أن يطعم نبيه في زمن الجوع والقحط يأمره أن يقوم ويذهب إلى صرفة صيدا لكى تعوله أرملة (امل ٩:١٧) . أكانت هذه الأرملة موسرة لها تركة غنية وموارد طائلة ولها كفاية أن تتحمل هذا الثقل الزائد في أيام المجاعة ؟ كلا ! كلا ! لم يكن لها إلا ملء كف من الدقيق في الكوار وقليل من الزيت فى الكوز ، وهى تقش عودين لتعمله لها ولابنها ليأكلاه ثم يموتان . الا يملأ قلبك السرور أن الله اختار واحدة كهذه ! فيلبس يعمل ميزانيته لحاجة الجمع الكبير، ويقارن الاحتياطي الموجود مع الغلام وهو خمسة أرغفة ، فيقول للسيد : « لكن ما هذا لمثل هؤلاء ؟». نعم ، وماذا تكون أنت في مساعدة الرب حتى يختارك أن تكون عاملا معه ؟ صحيح الأرغفة الخمسة شيء تافه إزاء خمسة آلاف ، وكانت خمسة أرغفة من الشعير طعام الفقراء . حسنا ، مهما تبدو لك صعوبة الأمر واستحالته ، ومهما انكشفت لك حقارة مجهودك ، فثق أن الذى استطاع أن يستخدم الأرغفة قادر أن يستخدمك أنت بكل عجزك.

(3) شعار التضحية :

وهى ترمز إلى الذات المكسورة ، المتضعة . ان المشكلة المعقدة فى حياتنا المسيحية وخدمتنا هى الذات . (ان أراد أحد أن يأتي ورائى فلينكر نفسه) (مت ٢٤:١٦) . مرارا وتكرارا يبين لنا العهد الجديد بأمثال وأشخاص أن التضحية هى المفتاح لكل

خدمة ناجحة ففي انجيل يوحنا (١٢:٢٤) يقول : « ان لم تقع حبة الحنطة فى الأرض وتمت فهى تبقى وحدها ، ولكن ان ماتت تأتى بثمر كثير .. وفى يوحنا (٥:٣٥) يقول : « كان هو السراج الموقد المنير » .

كلنا نريد أن نكون أنوارا مضيئة ، لكن لا إضاءة بدون احتراق . وهذا ما حصل لهنرى مارتن الذى كتب عن نفسه :« أنا ذاهب لأحترق لله فى بلاد الهند ». وفى مرقس (٢:٤) يقول:(فلما نقبوا السقف) فالفلوج ما كان ليجد الشفاء والبركة إلا بكسر السقف . والناس المحتاجون الجياع لا يمكن أن ينالوا بركة حقيقية من حياتنا إلا اذا انكسرنا ، كما كسر الخبزات (مرقس ١٦:٤١) قبل استخدامها

(4) الذات الموزعة :

وأخذ يسوع الأرغفة وشكر ووزع .. هنا وهناك وفى كل مكان بين الجمع الجوعان . « أسألك ربي أن تستخدمني أنا الحقير الصغير ، كما يحسن لديك في الزمان والمكان الذي تريد ». اين ؟ ربما في افريقيا أو الصين أو الهند أو أمريكا الجنوبية ، أو في زاوية منعزلة ، أو في حقل خصب ، أو تربة قاحلة . لكن يجب أن تترك له التوزيع وتعيين المكان ، وفي هذا الأمر أيضا يجب أن تنكر ذاتك . هناك نفوس جائعة هالكة هنا وفي الحقول الأجنبية فلندعه يختار المكان هو . أما أنت فعليك أن تقول « أي مكان »، وحينئذ تكون حياتنا أرغفة بين يديه .

(5) أداة قوة

وبالرغم من تفاهتها وعجزها الظاهر تكون في يده نواة معجزة. في يده - هنا السر - وهنا الحل . في إحدى المواقع الحربية التي حدثت منذ سنين عديدة اشتهر ضابط شاب وأتي من ضروب الشجاعة ما سجل اسمه وعمل أعمالا مدهشة بسيفه . فوصل خبر أعماله إلى أذن الملك ، وعند الغروب أرسل يطلب سيف الضابط ، فلما رآه لم يجد شيئا يمتاز به عن بقية السيوف الأخرى فرده الملك بازدراء ، ولكن الضابط رد على الملك بجسارة قائلا : " لا ينظر مولاى السيف بل اليد التي استخدمت السيف ". وقد تكون

أنت عاديا كهذا السيف ، وليس عليك إلا أن تكون نظيفا حادا لا يعلوك الصدأ وكل شيء آخر هو على اليد التي تستخدمك .

لما حضر الموسيقار المشهور (باجانينى) إلى انجلترا ليعزف مقطوعاته ، دفع أناس كثيرون مبالغ باهظة ثمنا للتذاكر . فلما حل الوعد اكتظ المكان بالحضور . ثم جاءت اللحظة العظيمة لما وقف الفنان لينظم أوتار كمانه ، واذا بوتر يقطع وثان وثالث ! واذا بالجمع المخذول يتحول من دهشة واستغراب إلى تذمر دوى في أرجاء المكان . لكن المعلم تظاهر بعدم الاهتمام ، ثم تقدم إلى المسرح مشيرا إلى آلته الموسيقية المحبوبة ثم قال : (وتر واحد.. وباجانينى . ومن هذا الوتر الواحد جعل الموسيقى الرخيمة ترن في جنبات المكان والناس كأن على رؤوسهم الطير مأخوذون بتلك النغمات الجميلة . وقد تكون أنت أيضا هذا الكمان القديم - آلة غير كاملة ، ولكن في يد المعلم ، ما أعظم البركة الكامنة فيك ! فقط احتفظ بتوافقك وحساسيتك وهو يخرج منك موسيقى جميلة .

أني ألاحظ الخبزات في يدي القدير وأتعجب من النتائج العظيمة التي كانت سببا لها . فكل الجمع الكبير المحتاج شبع وفضل عنه اثنتا عشرة قفة من الكسر . ولكن لماذا فضل اثنتا عشرة قفة ؟ نعم، الاثنا عشر تلميذا كانوا منهمكين في خدمة الجمع حتى لم يكن لهم . وقت للأكل ، واحدة لك يا بطرس ، وواحدة لك يا اندراوس وواحدة لكل من الاثنى عشر . تقول هذا خيال ! نعم ، لكنى اعرف أن السيد يهتم باحتياجات خدامه

والآن نتساءل : ما الذي عمل كل هذا ، وأى شيء أطعم هذا الجمع الهائل ؟ الأرغفة بالطبع . ولكنى كنت أظن أن الأرغفة قديمة وتافهة . أني أعلم ذلك ولكن لا تنس أن المعجزة حدثت لأن السيد أخذ الخبزات . أخبرني يا صديقي الآن ، هل هذه أمنية قلبك أن نصبح سبب فائدة للآخرين ! وهل تتوق أن تذهب وتساعد الذين حولك ؟ وهل انكشفت لك الرؤيا بأنه في الإمكان تغييرك من حالة العجز الى القوة العظيمة . فلتكن إذن معجزة الأرغفة لك بمثابة تحريض على التسليم.

(٦) تحريض على التسليم :

فمثلا د . ل . « مودى كان فى ذاته رجلا عاديا جدا - رغيف شعير . ولكنه كان سائرا ذات يوم بينما كان رجلان مؤمنان يتكلمان معا ، فسمع أحدهما يقول : « إن العالم سيشهد فيما بعد ما يستطيع الله أن يفعله برجل سلم ذاته تسليما كليا »، فقال مودي « بنعمة الله سأكون أنا ذلك الرجل » . من ذلك اليوم تخصص مودي الله ، و يا للنتائج العظيمة ! ويا للجموع التي أطعمها بكلمة الحياة ! والآن نختم بهذه الملاحظة:" أخذ يسوع الخبزات " . انه لم ينتزعها هو سيأخذها إن أعطيتها له . هل تفعل ذلك ؟ كان ممكنا ان يحتفظ الغلام بالأرغفة لنفسه ، وفى هذه الحالة كانت تظل أرغفه عادية ككل الأرغفة الأخرى لا يسمع أحد بها ولا يعرف عنها شيئا . ونحن يمكننا أن نحتفظ بحياتنا لأنفسنا فلا نبذل أي جهد في خدمة الآخرين . وماذا تكون النتائج ؟ خيبة ! فشل ! حزن ! أفلا يجدر بنا

أن نعطيه فيأخذ، الأرغفة ، بل أنت ذاتك ؟ .

منقولة مع التنقيح والترتيب من كتاب اشهر المواعظ

الرب يستخدم هذه العظة لمجد إسمه.

الأخ/ صفوت زكي سمعان

Safwat zaky samaan